دور النخبة المثقفة في تعزيز الهوية الوطنية في العراق 1920-1932

ا.م.د. سؤدد كاظم مهدي
مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية
S_alnbaidie@uomustansiriyah.edu.iq.

الملخص

يدور موضوع دور المثقفين في تشكل الهوية الوطنية في العراق في الفترة ما بين اعلان الدولة العراقية الحديثة في 23 اب 1921 الى اعلان الاستقلال السياسي ودخول العراق عصبة الأمم في 3 تشرين الأول 1932، حول بناء دولة حديثة قبل تأسيس الهوية الوطنية وما تخلل المرحلة من غياب او ضعف الوعي السياسي الثقافي و الاجتماعي لمفهوم الهوية الوطنية في ظل الانتماء الفرعي الذي كان المسيطر على هاجس المكونات العراقية , ولان العراق دولة متنوعة التكوين العرقي و الديني و المذهبي , فقد شغل مشاريع بناء الهوية الدولة حتى وقتنا الحاضر , عندما برز المثقفون كقوة مؤثرة في سير الاحداث متبلورة في المجالات الفكرية و السياسية معا في سياق اراؤهم و طروحاتهم الفكرية و السياسية و النظرة الى الانتماء في اطار الحداثة المعاصرة دون تخطي الموروث الإيجابي العراقي

الكلمات المفتاحية , المثقفون , الهوية , الوطنية , العراق , الاستقلال .

The Educated Class and Its Impact on Shaping Identity after the Establishment of the Modern Iraqi State 1921-1932

Assistant Professor Suadad Kahdum Mahdi
Al-Mustansiriya Center for Arab and International Studies

The topic of the role of intellectuals in shaping national identity in Iraq during the period between the declaration of the modern Iraqi state on August 23, 1921, and the declaration of political independence and Iraq's entry into the League of Nations on October 3, 1932, revolves around the construction of a modern state before the establishment of national identity. This period included the absence or weakness of political, cultural, and social awareness of the concept of national identity, in light of the sub-affiliation that dominated the concerns of Iraqi components. Because Iraq is a country with a diverse ethnic, religious, and sectarian makeup, identity-building projects have occupied the state to the present day. This is when intellectuals emerged as an influential force in the course of events, crystallizing in both intellectual and political spheres, in the context of their intellectual and political opinions and proposals, and the view of affiliation within the framework of... Contemporary modernity without neglecting Iraq's positive heritage.

Keywords: Intellectuals, identity, Iraq, history, nationalism.nal Studies

المقدمة

فتح السياق الثوري ومساراته السياسية التي جرت في العراق منذ مطلع القرن العشرين نوافذ معرفية عديدة على كل ما يتعلق بالهوية الوطنية , ومن ضمنه التوقف عند دور النخبة المثقفة ووظائفها والأدوات التي امتلكتها وقدراتها على احداث تحول حقيقي في مضمار موضوع دقيق يتعلق بالهوية , وكان لتلك النتائج كفيلة في تقديم المبررات المهمة لالقاء الضوء على دور المثقفين التي تعين عليهم تجديد وتطوير احداث شاركوا في سياقاتها و مالاتها المتقدمة في مرحلة تاريخية شهدها العراق للفترة 1920-1932 , عبرت فيها عن الوعي الذي تطور الى الانتماء الذي اقترن بدوره مع نشأة الدولة العراقية الحديثة في 23 اب 1921 , عندما عرفت الهوية من المنظور السياسي كمحور رئيسي في

عملية بناء الدولة , لتؤطر ملامح وسمات مشتركة ثقافية و اجتماعية و سياسية انعكست على المستوى الوطني ليعرف هذا الانتماء بالهوية الجامعة للقومية و الدينية و العرقية و الطائفية .

أهمية البحث

يعد دور النخبة المثقفة من الركائز الرئيسية التي تبنى عليها الهوية الوطنية و من اهم ألادوات بالنسبة للجماهير تجاه السلطة، لكونها تمثل مدخل ثقافي لفهم طبيعة الدور الساسي والمواقف الشعبية , عندما برزت النخبة المثقفة كقوة اجتماعية مؤثرة في سير الاحداث بشكل جلي بعد الاحتلال البيريطاني للعراق عام 1918 الى غاية استقلال العراق السياسي في تشرين الاول 1932 .

اهداف البحث

يهدف البحث توضيح دور المثقفين ومساهماتهم السياسية والثقافية والاجتماعية التي تجاوزت أدوار رجال السياسية و الحكم في خضم تحولات جذرية كبيرة شهدها العراق ، كان ابرزها اندلاع ثورة العشرين وإعلان الانتداب البريطاني وتشكيل الحكم الملكي وفق أسس ديموقراطية دستورية شكلية , وهو ما كان دليل على مسار تلك الفئة واثارها على المجتمع و الدولة .

إشكالية البحث

تكمن مشكلة البحث ان الهوية الوطنية وعلى تعدد مفاهيمها واختصاصاتها عبر مراحل مختلفة تمثل مطاليب شعبية ومنها الفئة المثقفة من اجل النهوض من واقع العراق في ظل الاحتلال واثاره السلبية على الفرد والمجتمع وبناء الاقتصاد الوطني والدولة .

أولا : في تعريف النخبة المثقفة والهوية .

- **تعريف النخبة .**

توصف كلمة النخبة بانها مجموعة محدودة في اطار طبقة سياسية في بلد معين في مرحلة زمنية , وهي تتضمن الفئات السياسية من موظفي الإدارة العليا وكبار العسكريين واحيانا الاسر الملكية والاستقراطية هذا الى جانب أصحاب الشركات التجارية الكبرى ، ويؤسس الباحثون ان تلك الفكرة تاتي لتحديد وضع انقسام مجتمعي ، كما تعرف وصفا للنخبة بكونها فكرة عن عدم المساواة بين القدرات الشخصية على اعتباره مسالة حتمية لا مفر منها , ويذهب الراي ذاته بانه يمكن التمييز بين فئة وأخرى في المجتمع بقدر تعلق الامر بالقدرة الذهنية و المادية وما الى ذلك بشكل يفسح المحال امام مجموعة معينة ان تشكل نخبة او اقلية لاستحواذ مكانة اجتماعية مرموقة [1] .

اما المعنى الاصطلاحي للنخبة فتشكل تلك المجموعة من الافراد التي تمثل اكثر الطبقات الاجتماعية اثراءا وهيبة , لكون تلك الفئة تتالف من الفئة المتميزة من المتفوقين قياسا بالاخرين ما يؤهلهم لتحمل قيادة ميدان محدود , وهو ما يشمل عادة الإشارة الى النخبة السياسية او النخبة المثقفة او العلمية او الاقتصادية وما الى ذلك ، كما تاشر كلمة النخبة اصطلاحا في المعنى الى مجموعة من الأشخاص تحت وظائف عليا ومراكز نفوذ للسيطرة على مجتمع ما [2] .

- **تعريف المثقف .**

ترجع كلمة المثقف في القواميس العربية الى كلمة ثقف وتثقيف وتعود الى المصدر الثلاثي ثقف التي تاتي بمعنى (حاذق , فاهم , ضابط) , كما تاتي كلمة مثقف كاسم مفعول من الفعل ثقف كما جاء في معجم لسان العرب بانه " ثقف الشيء ثقفا " بمعنى حذق . لذلك تشمل الكلمة معنى التميز الفكري الذي يؤهله الى تفسير الاخر بشكل اكثر دقة وهو التهديد , وهو ما يضيف المعنى بشكل دقيق الفئة المثقفة على اعتبار ان الأسلوب التهذيبي من العناصر الأساسية في دلالة المثقف . وعرف المثقف من قبل الباحثين و العلماء بانه ذلك الفرد الذي يأتي معرفة تاطر نحو تطور وممارسة وخبرة يومية او مع قضية مجتمعية تتجه نحو توظيف تلك المعرفة بشكل مؤثر بشكل المجتمع وتطوره وما يضمن من قضية تساهم في وضع طروحات جديدة لانظمة قائمة او حلول بنيوية للمجتمع [3] .

ومن المعروف ان مصطلح " مثقف " قد تأخر استخدامه في اللغة العربية الى مطلع القرن العشرين, عندما وردت كلمة " ثقافة " في ترجمة (culture) في الادب العربي الحديث في

كتابات المفكر سلامة موسى الذي اقتبس الكلمة من الفليسوف والمؤرخ ابن خلدون وكانت تشير الى العلوم و الاداب و الفنون التي تحتوي عليها الكتب . كما استخدمت كلمة الثقافة في مجلة المقتطف اللبنانية في عام 1936 عندما أشار فيليكس فارس الشاعر اللبناني عنوان لمقالته " ثقافتنا تجاه أوروبا " , كما جاءت في عنوان كتاب طه حسين المعروف " مستقبل الثقافة في مصر" في عام 1938 , اما اول كتاب كان عن المثقف العربي فقد تم تاليفة من قبل الكاتب محمد حسنين هيكل بعنوان " ازمة المثقفين " في عام 1961[4] .

- **في تعريف الهوية .**

تعرف لفظة الهوية في المعاجم العربية بانها مشتقة من ضمير المفرد (هو) المعرف بال التعريف والياء المشددة وعلامة التأنيث الهاء ،ويشير الفعل (هوى) في اللغة بمعنى" السقوط من أعلى "، وتاتي كلمة الهوية مصدرا لبيان أن الشيء (هو هو ذاته) ، كما ترد كلمة الهوى بمعنى" ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع ". ويقابل كلمة هوية لفظة (Identity) في اللغة الانكليزية وهي ذات أصول لاتينية و تشير" إلى الشيء نفسه أو حقيقة الشيء على ما هو عليه من حيث طبيعته للآخر " [5] .

اما تعريف الهوية اصطلاحا فان التنوع في دراسة الهوية ترك اثاره على مدلول المفهوم ومجرى تعاريفه العديدة ، حيث تعرف الهوية بانها الحقيقة المطلقة الشاملة على النواة في الغيب المطلق " وانها أيضا " الهوية السارية في جميع الموجودات " ما إذا " أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء " [6] . كما تاتي الهوية مركب من تكرار كلمة هو وضع اسم معرف ب (ال) ويعني" الاتحاد بالذات " [7] . ويذهب المؤلف اليكس ميكشيللي في كتابه " الهوية " ان من الصعوبة بمكان تحديد هوية الأشياء في الدراسات الإنسانية وتعود الصعوبة إلى الاختلاف الواضح في المرتكزات الأساسية التي تتالف منها الهوية ، وان أي تعريف دقيق لا بد أن يستوفي المعالم الرئيسية التي تسمح للمعرفة بين موضوع تعريف الهوية والمواضيع الأخرى التي تنسجم معه بشكل كبير ، وعموما ان من جملة التعاريف التي عرفت عن الهوية هي " مجموعة السمات التي تسمح لنا للتعرف على موضوع معين " [8] .

ويعني مفهوم الهوية ضمن أنواع مختلفة الاختصاصات والمفهوم الاشمل للكلمة الوعي بالذات في اطر المجتمع الثقافية وتحولاته الاجتماعية بشكل ينسجم مع تلك المتغيرات التي تتحول تباعا مع الواقع , وهي بالتالي سمات تعرف شخصا عن غيره حسب مكانة الفرد واللغة و العقيدة والحضارة ولا يغيب عن الباحثين في مجال الهوية حول ضرورة ان تنسجم الهوية مع ضرورات الفكر السياسي القانون الذي يعتمد على قانون المواطنة باعتباره رمزا جوهريا في تحقيق المساواة لتكون انعكاسا لرؤية مجموعة معينة ما دون غيرها . واما التعريف الفلسفي للهوية التي تعبر عن الذات تحددت ان ذات الانسان هي هويته , وهي كل ما تمثل من مشاعر وقيم ومواقف وممارسات ، ولذلك ان من ابرز التعاريف لتلك الهوية الشخصية كما وصفت بانها " الوعي الذاتي لاستمرار فكر الانسان وفلسفة الوجود لتكون معينا لتحديد اتجاهاته الشخصية و الاجتماعية و الوطنية " [9] .

وتشكل الهوية من جغرافية المنطقة والخلفية التاريخية والثقافة والعادات الشعبية المشتركة والركائز الاقتصادية التي يقوم عليها ذلك المجتمع ، وعليه ان الهوية الوطنية تتشكل من مجموعة من سمات تشترك فيها تلك الجماعة السكانية لتشكل امة او شعبا او وطنا معين , ويشكل وجود تلك الشخصية الوطنية حتى يقال ان الهوية ما هي الا بطاقة تعريفية عن اثبات الشخصية الوطنية تعبيرا عن الذات الثقافية تتجسد فيها ثقافة اللغة والعراقة و العقيدة لتلك الدولة او الامة . [10]

أما بالنسبة للهوية الوطنية وهي ما يتناوله موضوع البحث فهي تعني علاقة سياسية وقانونية وروحية بين الفرد والدولة تترتب عليها حقوق وتنظيمات وشروط يتم المنح والفقدان والسحب من الجانب القانوني ، والجنسية وان كانت ذات صلة بمفهوم الهوية إلا أن الهوية تمثل بشكل اكثر عموما وشمولية من أن تكون ذات علاقة قانونية بقدرما هي احاسيس تتطلب أمور عديدة ، وكذلك الحال

بالنسبة للمواطنة التي هي اقرب لمفهوم الهوية ومن أسس تشكيلاتها وان تعددت تعريفاتهاغير أنها تشير إلى مقومات الحريات والحقوق بين افراد الشعب [11] .

وهناك من يعرف الهوية الوطنية بانها " خلق المواطن الصالح " وانها مرادفة للديمقراطية لكونها حق الافراد في المشروع في إدارة الدولة ومؤسساتها وحق تقرير المصير انسجاما من الصلة التي تبدا من العلاقة بين الجماهير والدولة كما تتحدد من قبل قوانين الدولة المعنية وما تحتوي العلاقة المذكورة من واجبات وحقوق . بمعنى اخر ان هناك ارتباط بين مفاهيم عديدة حيث ان الأساس في الهوية يتشكل نتيجة الارتباط بمفهوم المواطنة من جانب الجنسية على اعتبارها ارتباط قانوني ، الى جانب الصلة بالجوانب الثقافية للافراد الذي له علاقة بالانتماء للدولة. ولذلك تعرف الهوية الوطنية بشكل اجمالي أنها نزعة سلوكية بين أبناء الأمة تؤدي إلى بلورة حالة من التطابق والتماثل فيما بينهم لخلق شعور وطني موحد يحمي ويعزز خصوصيات تلك الامة [12] .

ثانيا . دور النخبة المثقفة في ثورة العشرين وظهور الهوية الوطنية العراقية .

تعد ثورة العشرين التي اندلعت في 30 حزيران 1920حدثا بارزا في تاريخ العراق المعاصر , عندما تمسك العراقيون بمفاهيم الانتماء لبلدهم بغض النظر عن القومية والطائفة والدين ، التي ساهمت في ظهور الوعي الوطني والحركة التحررية التي اخذت تطرا بطروحات جديدة على المستوى الجماهيري في العقود التالية من القرن العشرين[13], ولذلك كانت احداث ثورة العشرين تمثل مرحلة قائمة في عملية انطلاق حياة فكرية وسياسية بقدر التعلق بنتائج الاحداث على الساحة العراقية في الجوانب الثقافية و التنظيمات الحزبية كمضمار لتاسيس الهوية العراقية .

كان للفئة المثقفة من المتعلمين في المدارس العثمانية في بغداد و إسطنبول اثرا مهما في ظهور ملامح الهوية الوطنية بجانبها الوطني , عندما كان لزخم طلاب المدارس والعسكريين و الموظفين و المعلمين وغيرهم دورا واضحا في نمو الوعي الوطني و الحث على مقاومة الاستعمار البريطاني للعراق والمطالبة بالاستقلال . [14] كما هو موضح في الجدول الاتي :

جدول
عدد المؤسسات التعليمية المتعلمين في المدارس في العراق
في العام (1913-1914)

المؤسسة التعليمية	عدد المؤسسات	عدد الطلاب	عدد المدرسين
مدرسة ابتدائية	160	6656	321
مدرسة اعدادية وسلطانية	4	818	49
دور معلمين	3	170	22
كلية الحقوق	2	244	22

الجدول من اعداد الباحث

ومن بين المثقفين من خريجي المدارس العسكرية الذين عادوا الى العراق بعد نهاية الحرب العلمية الأولى 1914 -1918 وانخرطوا في الأحزاب السياسية وساهموا في الاعداد و المشاركة في الثورة هم : جعفر العسكري , تحسين العسكري ، محمد شريف الفاروقي ومولود مخلص وغيرهم ، وكان الاعضاء المثقفين المنضويين في حزب حرس الاستقلال اكثر نشاطا في ميادين الثورة في الكوفة و النجف عبر الاشراف على سلاح المدفعية وغيرها [15] .

وادى المعلمين والادرايين والموظفين دورا في التطوع في الثورة خاصة الموظفين الذين انسحبوا مع العثمانيين من بغداد بعد تولي الإدارة العسكرية البريطانية الجكم في العراق ، ومعارضة ارنولد ولسن الحاكم السياسي البريطاني لتولي حكام او موظفين عرب[16] , هذا علما ان نسبة العاملين في

الادراة العثمانية في الكادر الإداري في ولاية بغداد البالغ عددهُ (120) موظفا كان (20) موظفا فقط من الأتراك والبقية عرباً، وبين الموظفين التنفيذيين الرئيسيين البالغ عددهم حوالي (50) موظفا كان النصف أتراكاً والبقية عرباً. واستناداً الى لورنس كان 70% من موظفي الإدارة من العراقيين، وبقدر تعلق الأمر بالجيش كان العراقيون يمثلون 60 % من الضباط و 95% من المراتب الأخرى ، وهو ما خلق مناخا ملائما للاحتجاج و المقاومة عندما قدم البريطانيون خدمة لاتقدر بثمن للحركة الوطنية عبر تجهيز فئة سهلة التعبئة [17] .

ويحدد محمد مهدي المصير احد العناصر الوطنية المشاركة في الحركة الوطنية في بغداد خلال مرحلة الثورة في كتابه القضية العراقية بهذا الصدد قائلا " ان الموظفين العاملين في الحكومة العثمانية السابقة و الضباط العاملين في الجيش العثماني بات معظمهم بدون عمل ويبيعون املاكم او يرهنوها وينفقونها في سبيل العيش ... وان .. رواتب المتقاعدين ما كانت تتلائم مع ارتفاع الحاجات " [18]. وقت كان عدد الموظفين البريطانين العاملين في الخدمة المدنية في شهر آب 1920 بلغ الذين يتقاضون أكثر من (600) روبية تقريبا (534) موظفاً منهم(507) من البريطانيين و(7) من الهنود و(20) عربياً ، وبلغ عدد الذين يتقاضون أقل من (600) روبية من الموظفين في نفس ذلك التاريخ حوالي (11270) موظفاً منهم (515) بريطانياً و (2209) هنود و (8546) موظفاً عربياً [19] .

تضافرت عوامل عديدة في نمو الوعي القومي بدرجة عالية خلال مرحلة الحكم العسكري البريطاني 1918-1920 , عندما كان للتيارات الإصلاحية الإسلامية و القومية العربية اثرا كبيرا على النخبة المثقفة في مقاومة الاستعمار البريطاني لتشكل حجر زاوية في المسار الثوري للحركة الوطنية ,عندما ساهمت الفتاوي الدينية لمراجع الدين الكبارفي خلق مرحلة سياسية جديدة ، عندما ولدت الاجتماعات في الجوامع والحسينيات في بغداد و الكاظمية وكربلاء و النجف وعيا قوميا دينيا بين شرائح المجتمع , حتى وصف ارنولد ويلسن الدور الوطني لرجال الدين في تلك المرحلة قائلا :

" ان علماء و رجال الدين كانوا يتنافسون مع رجال الحركة الوطنية لحث الجماهير على مقاومة الحكم البريطاني " [20] .

كما ساهم الشعراء والخطباء بشكل كبير في توحيد الراي العام لمناهضة البريطانيين عبر اذكاء روح الاستياء والتحضير للثورة عبر القصائد الشعرية الحماسية والخطابات الثورية والدينية التي شكلت عنصرا أساسيا في توجه الجماهير نحو الثورة على الاحتلال، كما كان لجامع الحيدر خانه مقرا للتحرر والوعي عبر اجتماع الشعراء والزعماء ورجال الأحزاب والوطنين وكذلك كان الحال في مدن الفرات الأوسط كالنجف وكربلاء . [20]

وشهدت النخبة المثقفة انطلاقة مهمة عندما اجتمعوا على طلب الاستقلال السياسي وتاليف الأحزاب السياسية للاستعداد للاستقلال ليشهد عام 1919 تطورا جديدا وسريعا للحركة الوطنية ، عندما ولدت منظمة ثورية في بغداد باسم حرس الاستقلال التي كان المثقفون يشكلون الهيئة التاسيسية لها ، وكان ابرزهم كلا من علي البزركان وبهجت زينل ومحمد باقر الشبيبي ومحمد مهدي البصير وغيرهم ، وهو ما شكل انعطافة مهمه في تاريخ نشاط النخبة المثقفة و الحركة الوطنية معا و الأهم من ذلك ان الجمعية السياسية لم تجدد نشاطها في بغداد بل انطلقت نحو مدن الفرات الأوسط ، حيث تمكن محمد باقر الشبيبي من فتح فروع جديدة للجمعية في كربلاء و النجف و المنتفك ما اثر بشكل رئيسي في تمدد النشاط الوطني [21] . وكذلك توج النخبة المثقفة نشاطهم الوطني عبر جمعية حرس اللاستقلال عبر كسب تاييد رجال الدين في مدينتي النجف وكربلاء هذا الى جانب شيوخ العشائر في منطقة الشامية وبقية مناطق الفرات الأوسط [22] .

من جانب اخر تمكن مثقفوا جمعية حرس الاستقلال من اقناع الإدارة البيريطانية على تأسيس المدرسة الأهلية بالتعاون مع مثقفوا جمعية العهد في أيلول 1919 , على اعتبار ان السلطات البريطانية تساهم في نشر معرفة البلاد , ولكن سرعان ما تغير نشلط المدرسة الاهلية ليصبح احد المراكز الرئيسية للحركة الوطنية على حد قول المس بل السكرتيرة الشرقية البريطانية للمندوب السامي البريطاني التي وصفت المدرسة بانها من معاقل الوطنين الذين يقومون " ببث الشائعات " ومخزن سري لحفظ السلاح [23] .

كان العمل الوطني للمثقفين في بغداد مثل مكانة خاصة على الساحة السياسية , حتى اعتبر ارنولد ولسن الحاكم السياسي للإدارة العسكرية البريطانية ان أي تحرك من المدرسة الاهلية " قادر ان يؤدي الى غلق الأسواق وتعكير صفوة الحياة الاجتماعية في بغداد " [24] . وهو ما وضح الوزن الحقيقي للمثقف في تلك المرحلة الدقيقة من تاريخ الاحتلال البريطاني عندما وصف ارنولد ولسن بشكل دقيق النخبة المثقفة انها " فئة قليلة " لكن " فعالة" [25]. ويضيف احد الحكام السياسين البريطانين برترام توماس الحاكم السياسي لمدينة الشطرة حول ادراك الإدارة البريطانية لأهمية دور المثقفين وقدرتهم السياسية في البلاد واصفا إياهم ب " شلة قليلة .. لاتزيد عن 5% من السكان " و " انها كانت مصدر التحرك السياسي " [26] .

تعددت الأنشطة السياسية للمثقفين العراقيين قبل اندلاع ثورة العشرين بين اذكاء الروح الوطنية والحماس الثوري لتوضح اهداف الاحتلال البريطاني، عندما بدا المثقف العراقي يدرك أهمية الراي العام في دعم القضية التحررية ودعم مواقفهم الوطنية في مواجهة المحتلين البريطانيين ، عندما اتجهت الاحداث الدولية بعد اعلان الانتداب البريطاني على العراق بموجب مقررات مؤتمر سان ريمو في نيسان 1920 ، وكان رد فعل المثقفين والعراقيين بشكل عام يقوم على عقد الاجتماعات للتنديد بالانتداب عندما شهد جامع السيد سلطان علي في بغداد اجتماعا كبيرا في الزخم والسرعة ، وحينذاك ادرك قادة النخبة المثقفة والعناصرالوطنية ابعاد التجمعات الدينية للعمل على استغلالها وتوسيع حجم الحراك الثوري ، وهو ما مهد الطريق الى اعلان الثورة ، وقد اكد ذلك احد المثقفين المجددين وهو محمد علي كمال الدين من مدينة النجف الذي وصف سكان بغداد بانهم " سبقوا كل اهل العراق ... وعندما حل شهر رمضان المبارك عام 1920 اخذ البغداديون بالاجتماعات العلنية والجلسات المولدية ثم المظاهرات الكبرى " [27].

تصاعد النشاط الوطني للنخبة المثقفة بما يتناسب مع احداث ثورة العشرين وزخم الصراع مع الاحتلال ، عندما انتقل نشاطهم الى ميادين الثورة والمدن المحررة ووجدوا فيها ميدانا رحبا للعمل والجهاد وفق مسارات وادوار مختلفة قيادية كان منها في مجال الصحافة والاعلام التي باتت جزءا ملازما للنضال المسلح خلال مرحاة الثورة ، حيث اصدروا جريدة الثورة الرسمية " الفرات" و " الاستقلال " اللتين تعتبران مرجعا ساطعا لتاريخ الصحافة في العراق من حيث المادة والمعالجة لقضايا النضال والتصدي للاحتلال . كما اخذ المثقفون بإصدار منشورات عديدة بصياغات مختلفة لدعم الثورة من حيث الطباعة والتوزيع ، فكثيرا ما كانت تصل المنشورات الثورية اليومية وجريدة الفرات الى المناطق المحررة كالرميثة والسماوة وعفك والديوانية والحلة وغيرها [28].

قدمت احداث الثورة وظروفها طروحات فكرية جديدة البعض منها والأخر كان تطويرا لطروحات فكرية سابقة، عندما اكدت النخبة المثقفة على موضوع الاستقلال بشكل لم يسبق له مثيل في ميدان الادب السياسي عبر طرح ان " لاحياة بلا استقلال" وان " الاستقلال والحرية" كما جاء في جريدة الاستقلال اللسان الرسمي والمعبر عن ثوار العشرين، وكذلك في جريدة الفرات أيضا ، كما ظهرت مفاهيم الديمقراطية بطروحات مختلفة عندما وجد المثقفون ان الحكومة الديمقراطية هي التي لها برلمان الذي يمثل حكومة الشعب وان يكون زمام الديمقراطية بايدي المثقفين ، في الوقت نفسه كان للمثقفين طروحات ترمي الى تشكيل نظام ملكي يتولى احد أولاد الشريف حسين الحكم على اعتباره ينسجم مع مسارات التاريخ العربي وتجاربه الا انه في كل الأحوال كانوا يرغبون في بناء نظاما سياسيا مستقلا [29] .

كان من ابرز نتائج ثورة العشرين على صعيد الوطني هو تبلور الانتماء والولاء للعراق بعيدا عن الانتماءات القومية والمذهبية وهو مايشير اليه علي الوردي في كتابه " لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث " بان المفاهيم الوطنية والاستقلال وامثالها باتت متداولة بين الجماهير ويناضل من اجلها العراقيين لتعلن بداية مرحلة مهمة من الوعي الوطني بين العراقيين [30] ، كما ان ثورة العشرين كانت اول حدث في تاريخ العراق شاهدت فيه " العمامة الى جانب الطربوش و الكشيدة الى جانب اللفة العلقية الى جانب الكلاو و كلهم يهتفون يحيا الوطن " [31] .

ثالثا : دور الفئة المثقفة في تشكيل الأحزاب السياسية العلنية وتعزيز الهوية الوطنية 1922-1932 .

بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة في عام1921 ظهرت عوامل عديدة في ظهور النخبة المثقفة كقوة اجتماعية ثقافية سياسية على الساحة العراقية كان ابرزها ما يلي :

- نشاة نخبة فكرية وسياسية عسكرية ومدنية تأثرت بالتيارات القومية والليبرالية والديمقراطية انعكاسا لما كان يجري في الساحة الدولية من تحولات بعد الحرب العالمية الأولى .
- تقسيم الاستعمار الأوربي للمنطقة العربية بعد انهيار الدولة العثمانية وتصاعد الروح القومية المناهضة للاستعمار .
- العمل على تأسيس دولة بنظام ملكي لتشكيل دولة وطنية حديثة تتالف من ثلاث ولايات وهي ولاية البصرة، بغداد، الموصل
- تبني نظام سياسي ديمقراطي قائم على التمثيل النسبي والتعددية الحزبية والثقافية وتعددية الرأي من أحزاب ووسائل اعلام، ومنظمات مجتمع مدني [32] .

بدات الحاجة الى تشكيل أحزاب سياسية علنية تبعا للنهج الديموقراطي الذي اعلن بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة في 23 اب 1921 على غرار النظام البريطاني. وتعبيرا عن الإرادة السياسية للحكومة العراقية بعد اعلان تشكيلاتها الرسمية بشكل يعكس حياة سياسية اكثر تنظيما وسعة , وكان المثقفون هم من دعاة تشكيل الأحزاب السياسية من اجل تحقيق أهدافهم الوطنية الرامية الى الوحدة الوطنية ونيل الاستقلال ، وقد وجد الملك فيصل الأول 1921 -1933 ضرورة وجود معارضة علنية عندما أعلنت وزارة الداخلية في 30 أيار 1922عن استعدادها لنشر قانون الأحزاب بصدور قانون الجمعيات في 28 تموز 1922 , والاعلان عن ظهور ثلاثة أحزاب سياسية بعد شهرين من تاريخ صدور القانون الذي كان مؤشرا لرغبة الفئة المثقفة في تأسيس الأحزاب السياسية وكانت هي حزب النهضة و الحزب الوطني و الحر العراقي وعلى الرغم من تناقض مبادئ الأحزاب السياسية الاانها كانت تمثل من أنشطة الفئة المثقفة [33] .

حاولت الفئة المثقفة والنخب السياسية أن تتوجه وفق نظام الحكم المستمد شرعيته من النظام الديمقراطي لهذا اكدت على التعددية السياسية وتشكيل الأحزاب المعارضة وحرية الراي والتعبير في الاعلام والصحافة والتجمعات ، وعملت على نقل الحراك الثقافي السلمي الجماهيري الى ثقافة مدنية تؤمن بالتداول السلمي للسلطة ، ومثل تكوين هوية عراقية سياسية أولوية بالنسبة لهذه المرحلة من الحكم الملكي ، ولكن ثمة حراك سياسي معارض للنشاط الحزبي المعارض وللتيارات الثقافية السياسية تشكل ضد تلك التوجهات للنخبة المثقفة نتيجة ضعف الأداء الحكومي وعدم الاستقرار السياسي للوزارات المتعاقبة وارتباط تلك الإدارات بالمصالح البريطانية . التي كانت تعيش في شبه عزلة تمتنع عن التواصل مع الشعب لفهم طبيعة التحولات الفكرية والسياسية، أو استشعار خطورة الاستياء الشعبي المتجذر منذ بداية الاحتلال ومحاولة النخب السياسية المعارضة توظيفه ليس من أجل اسقاط الحكومات وانما لاسقاط التجربة الديمقراطية والنظام الملكي [34] .

وعليه اشتدت مطالب الفئة المثقفة بالسماح لهم بتشكيل أحزاب سياسية بعد اعلان مرحلة جديدة من الحياة السياسية و الظروف الملائمة لميلاد تنظيمات سياسية , بعد تشكيل المجلس التاسيسي وانتهاء اعماله 1922-1924 تالف مجلس الامة في اب 1924 الذي ضم في عضويته عناصر من المثقفين الوطنيين الذين عارضوا المعاهدة العراقية- البريطانية لعام 1922التي غيرت بموجبها صك الانتداب البيريطاني الى صيغة معاهدة , كما تم تاليف حزب الاستقلال في الموصل في أيلول 1924 الذي عد من قبل الإدارة البريطانية صورة مماثلة لحزب الامة ودوره الوطني [35] .

وفي ظل اعلان قانون الجمعيات تاسست الأحزاب السياسية المعارضة التي كانت تتمنى الإصلاح في البرامج الحزبية عندما اخذ قياديها مبدا المعارضة السياسية للانتداب البريطاني ، وكان ابرزها الحزب الوطني الديموقراطي برئاسة محمد جعفر أبو التمن الذي تاسس 2 اب 1922 الذي اكد في منهاجه السياسي ان الهدف من تاسيسه هو الحفاظ على استقرار البلاد بحدوده الطبيعية ومساندة الحكومة الملكية الدستورية النيابية والتأكيد على النهج الوطني لمحاربة التفرقة في الدين والقومية والطائفة . [36]

اما جمعية النهضة العراقية التي تاسست في 19 اب 1922 برئاسة امين الجرجفجي وعضوية كل من محمد مهدي البصير وعبد الرزاق الازري ومحمد حسن كبة وعبد الرسول كبة ، وكان البرنامج السياسي للجمعية لايختلف كثيرا عن برنامج الحزب الوطني من حيث الوطنية و المعارضة للانتداب عندما اكدت الجمعية على الهوية ووحدة البلاد بعيدا عن الانقسام و الفرقة [37]0 اما بالنسبة لحزب الامة فقد ظهر على الساحة الحزبية بعد اغلاق حزبي الوطني و النهضة , حيث وجد عددا من العناصر الوطنية ضرورة تأسيس حزب وطني يناضل من اجل تعديل المعاهدة العراقية البريطانية لعام 1922، حيث اكد في منهاجه السياسي على ضرورة الحفاظ على الوحدة العراقية و القيام بالتعديلات اللازمة على المعاهدة لعام 1922 بما ينسجم مع مصالح البلاد القومية [38]

ادرك مثقفوا حزب الامة على ضرورة دعم العشائر كقاعدة شعبية للحزب بمعنى كان للحزب طروحات حول تسليم السلطة منذ بداية تاسيسه , وهو ما اثارا قلق الإدارة البريطانية من نشاط الحزب الوطني واسهاماته للوصول الى العشائر و الالوية خاصة بعد ان نال الحزب تاييد مثقفين كبار مثل محمد رضا الشبيبي ومزاحم الباججي ، وقد حقق الحزب إنجازاته السريعة بفوزه في الانتخابات التمهيدية التي جرت في انتخاب المجلس النيابي ولا يبدو الامر بعيدا عن عرقلة البريطانيين وصل حزب الامة في الانتخابات النيابية .[39]

تالفت اللجنة التنظيمية من مثقفين بارزين كمحمد رضا الشبيبي و مزاحم الباججي وثابت عبد النور و إبراهيم كمال وعلى غرار تلك الأحزاب لم تتوقف مشاريع المثقفين الممبذولة لتاسيس أحزاب أخرى , عندما حاول عدد منهم تاليف حزب جديد في العام 1927-1928 الا ان المساعي المتكررة على تاليف تلك الأحزاب عارضت من قبل وزارة الداخلية على اعتبارها تؤدي الى " توسيع الآراء المتطرفة " في البلاد وتاثر على العلاقات العراقية البريطانية , وهو ما دفع المثقفين من جديد للانضواء الى الحزب الوطني الذي عاد للحياة السياسية من جديد في العام 1928 .[40]

كان لمشكلة الموصل التي ظهرت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى 1914-1918 واحتلال العراق اثرا كبيرا في طروحات المثقفين العراقيين خلال مرحلة المشكلة في الفترة 1918-1926 ، عندما دفع المثقفون في الموصل نحو تشكيل حزب الاستقلال الوطني لتعبئة الراي العام ومواجهة المشاريع التركية الرامية للسيطرة على الموصل وللدفاع عن ولاية الموصل كجزءا أساسيا من وحدة العراق الوطنية، تاسس الحزب في أيلول 1924 وهدف برنامجه السياسي الى استقلال العراق والنضال من اجل الحاق ولاية الموصل بموجب المواثيق الدولية خاصة بعد وصول لجنة التحقيق التابعة لعصبة الأمم لتقرير مصير الموصل ، ومن إلاصدارات التي تؤيد تلك القضية هي: جريدة العهد و جريدة فتى العراق وغيرها من المنشورات الوطنية [41] . وانسجاما مع تلك الطروحات الوطنية الرامية الى الحفاظ على وحدة العراق التاريخية والجغرافية لولاية الموصل تاسس الحزب الوطني العراقي في الموصل عام 1925 ووقف الى جانب الأحزاب الأخرى ومناشداتهم لضمان تقرير مصير الموصل وضمها للعراق اثناء وصول اللجنة الأممية للموصل للتاكيد على أهمية الهوية الوطنية العراقية [42] .

الخاتمة

- نجحت الفئة المثقفة في تشكيل الهوية الوطنية في مرحلة دقيقة سبقت تأسيس الدولة العراقية الحديثة في عام 1921 , عندما نجحت النخبة المثقفة في تحقيق قفزة نوعية في تطورها الفكري والسياسي وإرساء ألاسس لانشطة جديدة على صعيد الوعي الوطني في ظل تفاقم روح الاستياء الشعبي من الاحتلال البريطاني .
- قدم المثقفون سجلا لامعا لوظائفهم وادواتهم في تعبئة الجماهير لمناهضة الاحتلال و الاعداد لقيام ثورة العشرين حيث كانوا الفكر النير و اللسان المعبر عن مجمل صور الانتماء و الوعي الوطني خلال مرحلة الثورة.
- برزت الفئة المثقفة قوة مؤثرة في معظم الاحداث السياسية بعد تأسيس الدولة العراقية على الرغم من المحاولات البريطانية لتحجيم الدور السياسي للمثقفين ، بيد ان الزخم الكمي و النمو العددي للمثقفين ضاعف من نشاطهم السياسي وعزز في تطور المفاهيم الوطنية وإيجاد تنظيمات سياسية ذات طابع وطني.

- تبنى المثقفون خلال برامج الأحزاب و الجمعيات السياسية المعارضة اهداف تؤكد على الاستقلال و الحرية و ترسيخ الهوية الوطنية و العمل على توطيد أسس الانتماء و السعي نحو تأكيد الحقوق و الحفاظ على وحدة وسلامة العراق بعيدا عن الانقسامات والانتماءات الفرعية .
- كان لاحزاب المعارضة التي أسسها المثقفون كالحزب الوطني وحزب الامة وحزب النهضة طورا بارزا للوطنية ومدلولاتها التحررية على الصعيد المفاهيمي للهوية , عندما استقطبت تلك الأحزاب ذات التوجه الوطني حيزا كبيرا من اهتمام العراقيين ، لاسيما وان تلك الرموز التي كانت تعرف بالخبرة في العمل الحزبي كانوا قيادين في الحركة الوطنية ومنضويين بين صفوفها .

الهوامش

1- هبة علي حسين ، دور النخبة السياسية و المثقف السياسي في التحول الديموقراطي و العراق انموذجا , مجلة حمورابي العدد 22-28 , السنة السادسة , صيف/ خريف 2018، ص 6 .
2- المصدر نفسه .
3- المصدر نفسه.
4- احمد مفلح , دلالات مفهوم المثقف : قراءة في كتاب " دور المثقف في التحولات التاريخية , مجلة تبين , العدد 31، مركز الأبحاث العربي ، الدوحة، شتاء 2020.

5- طلال حامد خليل ، الهوية الوطنية الع ا رقية وآفاق المستقبل ، **مجلة الفكر القانوني والسياسي ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، 2020 ، ص 37 .**

6- المصدر نفسه .

7- محمد أبو خليف , الهوية , 11/20 /2014 .
8- اليكس ميكشيللي ، الهوية ، ترجمة علي وطفة ، دمشق ، دار الوسيم للنشر ،1993، ص 15.
9- محمد أبو خليف , الهوية , 11/20 /2014
10- المصدر نفسه.
11- طلال حامد خليل ، المصدر السابق ، ص 38.
12- أحمد غالب شلاه ، الهوية الوطنية العراقية دراسة في إشكالية البناء والاستمرار ، بغداد ، مركز العراق للدراسات ، 2018 ،ص 4.
13- علي الوردي , لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث جزء 5 , بغداد 1977، , ص 15.
14- عدنان القطان , دور المثقفين العراقيين في ثورة العشرين التحررية ، الحلقة الأولى , 17اب 2022 ، ص 1 .
15- وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية(الاستقلالية) في العراق، ط2، بغداد، 1985، ص 345
16- سؤدد كاظم مهدي ، ارنولد ولسن ودوره في السياسة العراقية 1918-1920، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، 2022 ، ص 234.
17- مختارات من رسائل لورنس، ترجمة: الدكتور عبد المنعم الناصر،بغداد -1988، ص116-117.
18- محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ط2، لندن، 1987 ، ص 43

19- المس بل، المصدر السابق، ص3؛ عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، بغداد، 1967، ص191.
20- محمد مهدي البصير، المصدر السابق ، ص 56.
21- سؤدد كاظم مهدي ، المصدر السابق ، ص 234.
22- علي البزركان , الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ط2، بغداد، 1954 ،1990، ص87 .
23- عبد الرزاق النصيري , دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق 1908-1932 ، بغداد ، 2012 ، ص293.
24- المس بل ، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر خيّاط، بيروت،1917، ص 427- 434.
25- ارنولد ويلسن , الثورة العراقية، ترجمة، جعفر الخياط، بغداد، 1971، ص60
26- المصدر نفسه , ص 111.
27- عبد الرزاق النصيري ، المصدر السابق ، ص294.
28- علي البزركان ،المصدر السابق ،ص14.
29- عبد الرزاق النصيري , المصدر السابق ، ص 304
30- المصدر نفسه ، ص 306 .
31- المصدر نفسه ، ص 308 .
32- علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، جزء 5 ، بغداد، 1977 ، ص 15 ؛عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، طبعة 5 ، بيروت ،1982، ص324-330 .
33- المصدر نفسه, ص 15 .
34- عبد الرزاق الحسني , تاريخ الأحزاب السياسية العراقية ، بيروت،1983، ص 37- 66 .
35- عبد الرزاق النصيري , المصدر السابق ، ص359 .
36- رجاء حسين حسني الخطاب , العراق بين 1921-1927 دراسة في تطور العلاقات العراقية البريطانية واثرها في تطور العراق السياسي مع دراسة في الراي العام العراقي , بغداد ، 1976 ، ص302-303 .
37- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث , بيروت ، 1938 ، ص 250- 252 .
38- عبد الرزاق الحسني , تاريخ الأحزاب السياسية العراقية ، ص 70-75 .
39- عبد الرزاق النصيري , المصدر السابق , ص360 .
40- المصدر نفسه ، ص361 .
41- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الأحزاب السياسية ، ص 76-86 .
42- المصدر نفسه ، ص 91-135 ؛خالد حسن جمعة ، الأحزاب السياسية في العراق 1921-1968 ، دار المصادر، بغداد ، 2011 ، ص 108-129
43- عبد الرزاق النصيري , المصدر السابق , ص361.
44- د.قحطان حميد كاظم العنبكي ، دور النخب السياسية العراقية في تنمية الهوية الوطنية في العهد الملكي 1921-1958 ، مناهج الأحزاب السياسية العلنية ومواقفها أنموذجا ، مجلة جامعة ديالى ،2021، ص 17.
45- المصدر نفسه ، ص 18.

قائمة المصادر

- أحمد غالب شلاه ، الهوية الوطنية العراقية دراسة في إشكالية البناء والاستمرار، مركز العراق للدراسات ، بغداد ، 2018 .
- احمد مفلح , دلالات مفهوم المثقف : قراءة في كتاب " دور المثقف في التحولات التاريخية , مجلة تبين , العدد 31. مركز الأبحاث العربي ، الدوحة ، شتاء 2020.
- ارنولد ويلسن , الثورة العراقية، ترجمة: جعفر الخياط، بغداد، 1971.
- اليكس ميكشيللي ، الهوية ، ترجمة علي وطفة ، دار الوسيم للنشر ، دمشق، 1993.
- خالد حسن جمعة ، الأحزاب السياسية في العراق 1921-1968 ، دار المصادر، بغداد ، 2011.
- رجاء حسين حسني الخطاب , العراق بين 1921-1927 دراسة في تطور العلاقات العراقية البريطانية واثرها في تطور العراق السياسي مع دراسة في الراي العام العراقي , بغداد ، 1976.
- سؤدد كاظم مهدي ، ارنولد ولسن ودوره في السياسة العراقية 1918-1920 ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،2022 .
- **طلال حامد خليل** ، الهوية الوطنية العرا قية وآفاق المستقبل ، **مجلة الفكر القانوني والسياسي ، المجلد الرابع ، العدد الثاني ، 2020.**
- قحطان حميد كاظم العنبكي ، دور النخب السياسية العراقية في تنمية الهوية الوطنية في العهد الملكي 1921-1958 ، مناهج الأحزاب السياسية العلنية ومواقفها أنموذجا ، مجلة جامعة ديالى، 2021.
- عدنان القطان , دور المثقفين العراقيين في ثورة العشرين التحررية ، الحلقة الأولى , 17اب 2022.
- عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، بغداد، 1967.
- عبد الرزاق الحسني , تاريخ الأحزاب السياسية العراقية ، بيروت،1983.
- عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق السياسي الحديث , بيروت ، 1938.
- عبد الرزاق الحسني ، الثورة العراقية الكبرى ، طبعة 5 ، بيروت ، 1982.
- عبد الرزاق النصيري ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق 1908-1932 ، بغداد ، 2012 .
- علي البزركان , الوقائع الحقيقية في الثورة العراقية، ط2، بغداد، 1954 ،1990.
- علي الوردي , لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث ، ج5 , بغداد ، 1977
- مختارات من رسائل لورنس، ترجمة: الدكتور عبد المنعم الناصر،بغداد ،1988.
- المس بل ، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة، جعفر خيّاط، بيروت،1917.
- محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ط2، لندن، 1987.
- محمد أبو خليف , الهوية , 11/20 /2014.
- هبه علي حسين ، دور النخبة السياسية و المثقف السياسي في التحول الديموقراطي و العراق انموذجا , مجلة حمورابي ، العدد 22-28 , السنة السادسة , صيف - خريف 2018 .
- وميض جمال عمر نظمي ، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية(الاستقلالية) في العراق، ط2، بغداد، 1985.